التربية التحضيرية في البلدان العربية : الواقع والتحديات

أ.د. محمود بوسنه

د. سعيد بوشينة

قسم علم النفس وعلوم التربية والارطوفونية–جامعة الجزائر2

Preschool education in Arab countries: Reality and challenges

Pr. Mahmoud BOUSSENA

Dr. Said BOUCHINA

Department of Psychology, Sciences of education and speech therapy- University of Algiers2

Abstract

Preschool education is considered as a necessary and strategic operation for any society that aspires to be developed, because such education enables children of (0-6 years) to have a maximum development. Numerous studies have shown that children, who have benefited from early childhood education, form a more competent generation. Indeed, these children have better educational and professional success later on in their life. Moreover, this impact of preschool education has positive effects on the development of the society as a whole.

In view of these results induced by preschool education, developed countries have taken the decision to generalize it to all children (group early Age). This action has permitted them to be at the top of the world rankings in this domain, unlike the Arab countries which are ranked at the bottom.

The objectives of this paper are multiple. Firstly, we have emphasized the importance of the generalization of preschool education, for its impact on the development of children and societies. Secondly, a comparison has been presented between the Arab countries and other regions with regards to this type of education. In addition to that, we have outlined and discussed the Algerian experience, and focused in the conclusion, on the challenges facing the Arab world in this field.

Keywords:

Preschool education, children, Arab countries, development.

L'éducation préscolaire dans les pays arabes: états des lieux et défis

Pr. Mahmoud BOUSSENA

Dr. Said BOUCHINA

Département de psychologie, des sciences de l'éducation et de l'orthophonie-Université Alger 2.

Résumé

L'éducation préscolaire est considérée comme une action nécessaire et stratégique pour toute société qui aspire à se développer, d'autant que ce type d'éducation précoce permet aux enfants de (0-6 ans) d'avoir un développement maximal. De nombreuses études ont montré que les enfants qui ont bénéficié du préscolaire, forment des générations plus compétentes. En effet, ces enfants enregistrent des niveaux de réussites scolaires et professionnels plus importants. Ce qui se répercute sur le développement de la société dans son ensemble.

Au vue des performances induites par ce type d'éducation, les pays développés l'ont généralisé à tous les enfants. C'est ce qui a permis à ces pays d'être à la tête de classement mondial dans ce domaine, contrairement aux pays arabes qui se trouvent en queue de ce classement.

Ce papier a plusieurs objectifs. Nous avons, dans un premier temps, mis l'accent sur l'importance qu'il y aurait à généraliser l'éducation préscolaire vue son impact sur le développement des individus et des sociétés. Dans un second temps, nous avons comparé le niveau de développement de l'éducation préscolaire dans les pays arabes, entre eux puis avec d'autres pays. Aussi nous avons exposé et discuté l'expérience algérienne. La conclusion a porté sur les défis qui se posent au monde arabe dans ce domaine.

Les mots clés:

L'éducation préscolaire, enfants, pays arabes, développement.

ISSN : 2170-1431: ردمد * تاريخ القبول : نوفمبر 2012 * تاريخ الإيداع : ديسمبر 2011

ملخص

تعتبر التربية التحضيرية عملية استراتيجيه وضرورية لأي مجتمع يريد أن يتقدم. وذلك لأن هذا النوع من التربية يساعد بشكل كبير على تمكين أطفال المرحلة المبكرة (0إلى6 سنوات) من النمو السوي والسريع. ففي هذا الإطار تشير العديد من الدراسات إلى أن التربية التحضيرية تدفع إلى تقدم المجتمع لكونها تساهم في ظهور أجيال أكفء وأقدر على تحقيق النجاح الدراسي والمهني.

إن التحسينات التربوية والمهنية المرتبطة بالتربية التحضيرية كانت وراء اتخاذ قرارات تعميمها من طرف البلدان المتقدمة على جميع أطفالها، مما جعلها تتبوأ صدارة الترتيب العالمي في هذا الميدان في حين نجد البلدان العربية تقع في ذيل الترتيب.

أهداف هذه الورقة متعددة. ركزنا في البداية على ضرورة وأهمية تعميم التربية التحضيرية نظرا لتأثيراتها الإيجابية على الفرد والمجتمع. ثُم قمنا بمقارنة مستوى تطور التربية التحضيرية في البلدان العربية وهذا فيما بينها ثم مع غيرها من البلدان الأخرى؛ وبعد ذلك عرضنا وناقشنا التجربة الجزائرية. وفي الخلاصة تطرقنا للتحديات المطروحة أمام البلدان العربية بالنسبة لهذا النوع من التربية.

الكلمات الدالة: التربية التحضيرية، الأطفال، النمو ، البلدان العربية.

مقدمة

ظهرت في القرن الثامن عشر مؤسسات تربوية جديدة بأوروبا تستقبل الأبناء الصغار للأمهات العاملات وذلك بهدف مساعدة هؤلاء الأمهات على التفرغ لنشاطهن المهني. وتطورت هذه الفكرة فيما بعد لتصبح هذه المؤسسات تقدم برامج تربوية تهدف إلى إعداد أطفال الطبقة الوسطى إلى المدرسة ؛ ومع نهاية القرن العشرين توسعت وانتشرت هذه المؤسسات التربوية بشكل كبير في أغلب البلدان المتقدمة منها والنامية، ورافق هذه الديناميكية تغيرات عميقة في أدوارها وفي تنظيمها وأهدافها.

لقد أعطى المجتمع الدولي ميدان الطفولة المبكرة[1] Early childhood الأولوية وهذا مند مؤتمر جومنتيين بتيلاندا سنة 1990، حيث أكد المؤتمر على التربية للجميع وأوصى بجعل التربية التحضيرية جزءا لا يتجزأ من التعليم الأساسي. وفي نهاية المنتدى الدولي حول التربية بدكار (السنغال) سنة 2000 تم تبني «إطار دكار للعمل» والذي ينص على ستة أهداف، أولها كان التأكيد على توسيع وتحسين الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة.

1- يقصد بالطفولة المبكرة الأطفال الذين لم يبلغوا بعد سن التمدرس أي فئة (0إلى6 سنوات).

ولقد تواصلت اللقاءات العالمية والإقليمية حول موضوع التربية والتربية التحضيرية بصورة دورية وذلك من أجل تقييم ومتابعة التطور فيما يخص تحقيق الأهداف المختلفة لمبدأ التربية للجميع بالنسبة لمختلف الدول التي شاركت وأكدت على التزامها بتوصيات ملتقى جومنتيين ومنتدى دكار. مع العلم أن البلدان العربية شاركت في هذين اللقاءين ووقعت بالإضافة إلى ذلك على العديد من الاتفاقيات الدولية المتصلة برعاية الطفل ومرحلة الطفولة، مثلا معاهدة حقوق الطفل لسنة 1989 والتي تنص في مادتها السادسة على أن الدول الأطراف تتكفل إلى أقصى حد ممكن ببقاء الطفل ونموه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن برامج التربية التحضيرية تهدف بالأساس إلى تمكين الطفل من تحقيق أقصى حد ممكن من النمو. مع العلم أنه رغم توقيع البلدان العربية على مختلف المعاهدات الدولية المشار إليها أعلاه فيما يخص التربية والطفولة ورغم الأهمية الصريحة للتربية التحضيرية، فإننا نجد أغلبية هذه البلدان ما زالت بعيدة عن ما هو مطلوب منها فيما يخص تطوير التربية التحضيرية ؛ إذ أن سياساتها التربوية المعتمدة لا تعتبرها من الأولويات. إن هذا الواقع يفسر لنا تبوء البلدان العربية لذيل الترتيب العالمي فيما يخص هذا النوع من التربية الهام والذي تفطنت إلى ضرورة تعميمه البلدان المتقدمة وكذلك الكثير من البلدان النامية خاصة منها البلدان البارزة حديثا (Emerging countries).

في البداية نلفت الانتباه إلى وجود عدد من المصطلحات المتصلة بالتربية التحضيرية تستخدم بصورة تبادلية في كثير من الأحيان رغم بعض الاختلافات في معانيها وأصولها. حيث نجد بعض من المصطلحات تشير في تسميتها إلى طبيعة النشاط (إيقاظ وتربية الصغار، الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة، التعليم ما قبل الابتدائي أو ما قبل الأساسي، التعليم التحضيري، التربية التحضيرية) والبعض الآخر يشير إلى طبيعة الهياكل (روضة الأطفال، حديقة الأطفال، الحضانة، القسم التحضيري، السنة التحضيرية). ولكن يبقى مفهوم التربية التحضيرية أكثر دقة وأكثر شمولا من المصطلحات الأخرى؛ وذلك لأنه يعبر بصورة أنسب عن طبيعة العمل التربوي الذي يمكن تقديمه من خلال هذا النوع من التربية لأطفال لم يبلغوا بعد سن السادسة، وهذا من أجل تحضيرهم للمدرسة وللحياة عموما.

يعتبر مفهوم التربية التحضيرية أشمل من مفهوم التعليم التحضيري ويتضمنه، فالتربية التحضيرية تتناول بالرعاية والإيقاظ جميع جوانب شخصية الطفل بهدف مساعدته على النمو السوي والسريع والقدرة على التكيف فيما بعد مع متطلبات العمل المدرسي والحياة. مع العلم، إن برامج التربية التحضيرية

توجه في الغالب إلى مجموعتين:

1 . فئة الأطفال الذين يقل سنهم عن ثلاثة سنوات،

2 . وفئة الأطفال الذين يتراوح عمرهم فيما بين 3 سنوات وسن الدخول إلى السنة الأولى ابتدائي(6 سنوات في أغلبية البلدان).

وتجدر الإشارة إلى أن مجموعة من الدول تقسم الفئة الثانية إلى فئتين، فئة 3إلى5 سنوات وفئة 5إلى6 سنوات. حيث تعتبر هذه الدول سن الخامسة على أنها السن المناسبة لتنظيم سنة تحضيرية تسبق التعليم الابتدائي، وبالتالي نجد في المدارس الابتدائية أو في مؤسسات خاصة، هيكلة لأقسام تهتم بتقديم التربية التحضيرية إلى فئة ذوي الخمس سنوات. ويكون التركيز فيها على تحضير الطفل نفسيا وتربويا للتكيف مع العمل المدرسي فيما بعد وتنمية شخصيته بصورة متفتحة.

إن أهداف هذه الورقة متعددة يمكن حصرها في النقاط الموالية:

أولا- تبيان أهمية التربية التحضيرية وذلك من خلال مناقشة الأسباب التي تؤكد على ضرورة تعميمها على مجموع الأطفال الصغار،

ثانيا – مقارنة مستوى تطور التربية التحضيرية في البلدان العربية مع البلدان الأخرى من مختلف مناطق العالم،

ثالثا – عرض واقع التربية التحضيرية في الجزائر،

رابعا – شرح التحديات المطروحة أمام البلدان العربية فيما يخص التربية التحضيرية.

1 - أهمية التربية التحضيرية

تبرز أهمية التربية التحضيرية من خلال خصوصية مرحلة الطفولة المبكرة التي تتميز بالضعف الشديد من جهة والإمكانيات الهائلة للنمو من جهة أخرى. إن هذه الخصوصية استدعت تخصيص رعاية وتنشيط مناسبين لأطفال هذه المرحلة من أجل تمكينهم من تحقيق نمو قوي وهذا بالاعتماد على برامج متخصصة للتربية التحضيرية. مع العلم أن النمو يكون سريعا في هذه المرحلة بالنسبة إلى مختلف جوانب الشخصية، مما يسمح للأطفال التعلم السريع واكتساب الخبرات، خاصة إذا ما وفر لهم محيط مثير ووجه فضولهم في المعرفة والاكتشاف. ولهذا نجد مؤسسات التربية التحضيرية تهدف بالأساس إلى توفير الظروف البيداغوجية المناسبة لتمكين الأطفال من تحقيق أقصى حد ممكن من النمو فيما يخص مختلف جوانب الشخصية.

إن التربية التحضيرية ترمي إلى مساعدة الأطفال الصغار على تحقيق كل من:

• الحاجات المتصلة بالجانب الحسي/الحركي

تشكل فضاءات اللعب الموجودة في مؤسسات التربية التحضيرية والمساحات المغطاة بالرمل البحري والتزحلق والتسلق والقفز مناسبة لتصريف طاقة الأطفال في نشاطات تربوية مخططة وهادفة تسمح لهم بالإنماء والسيطرة على المهارات الحركية الكبيرة، خاصة وأنهم في هذه السن يكونون كثيري النشاط والحركة. كما تساعد ألعاب الرمي والقذف والقبض على تنمية العضلات الدقيقة والمهارات المرتبطة بها، وإحداث التآزرات اللازمة بين القدرات الحسية/ الحركية تمهيدا لمهارات التلوين والرسم والتخطيط فالكتابة المنظمة في التعليم الابتدائي.

• الحاجات المتصلة بالجانب الانفعالي/ الوجداني

إن الحاجة الى المبادأة والمشاركة الاجتماعية والاستقلالية والتقدير والإحساس بالثقة، كلها تجد البيئة المناسبة للإشباع في النشاطات التربوية التي تتضمنه برامج التربية التحضيرية والنشاطات الأخرى الحرة المنظمة من طرف هذه المؤسسات مثل الخرجات، والحفلات. فإسناد نشاطات للأطفال لإنجازها بصفة فردية أو جماعية واللعب بمختلف أنواعه وأهدافه، ونشاطات المسرح والتمثيل والغناء والإيقاع والتعبير الحر من خلال الرسم عن انفعالاتهم كلها نشاطات تشبع عندهم الحاجة الى تكوين صداقات والمشاركة الاجتماعية والمبادأة والاستقلالية.

ويلعب التدعيم والتعزيز الذي يتلقونه اطفال هذه المرحلة من طرف المربين، على نجاحهم في المهمات والأدوار المطلوبة منهم أداؤها، في خلق مناخ ملائم للشعور بلذة الانجاز والتقدير اللذين يولدان الإحساس بالثقة. ولهذا تلعب هذه المؤسسات دورا هاما في تنمية الجانب الانفعالي للأطفال.

• الحاجات المتصلة بالجانب العقلي/المعرفي

يتميز سلوك الطفل العقلي في هذه المرحلة بالرغبة الشديدة في الاستطلاع والاستكشاف. فهو يسأل عن ماهية كل شيء موجود في محيطه وعن وظيفته وعن طبيعة كل شيء جديد يقع تحت حواسه. وتشكل ممارسة الطفل للنشاطات المتضمنة في برامج التربية التحضيرية فرصة سانحة لإشباع هذا النهم الى المعرفة. كما تشكل الخرجات التي تنظم الى أماكن معينة وكذلك الأشرطة التربوية التي تنقل البيئة الخارجية والبعيدة الى الأطفال داخل مؤسسات التربية التحضيرية فرصة مناسبة لهم للتعلم وتكوين «المفاهيم» والصور الذهنية

عن الأشياء. وتعتبر النشاطات التربوية العلمية كالحساب والتربية العلمية وغيرهما من النشاطات ذات الكفاءات المستعرضة مجالا خصبا لإشباع حاجات ومتطلبات المجال العقلي/ المعرفي.

- **الحاجات المتصلة بالجانب التواصلي /اللغوي**

إن طفل هذه المرحلة شغوف بالتحدث الى درجة الثرثرة، ولا سيما من خلال ما يطرحه من أسئلة في محاولة للمعرفة والفهم. ومربي التربية التحضيرية من مهامه توفير البيئة والنشاطات التربوية والممارسات التي تساعد على إشباع حاجات النمو المرتبطة بالمجال التواصلي/ اللغوي ومتطلباته، وذلك من خلال سرد القصص والحكايات التي تربيهم على مهارات الإصغاء والتحدث وكذلك يؤدي اللعب الرمزي والإيهامي والمشاركة في أداء مسرحيات، والتحدث أمام الغير، والتحاور والوصف، على إشباع الحاجات المرتبطة بالمجال التواصلي/ اللغوي.

مما سبق يتضح لنا بأن الأطفال الصغار ذوي سن 0 إلى 6 سنوات في حاجة إلى ظروف مناسبة ومنظمة حتى نضمن الارتقاء القوي والسريع لهم واستمرار نموهم إلى أن يصلوا أقصى حد ممكن من النمو عند مرحلة الرشد.

وتجدر الإشارة إلى أن نتائج العديد من البحوث والدراسات العلمية تشير إلى أن التربية التحضيرية هي أساس النجاح بالنسبة لكل من الفرد والمجتمع. فالفرد الذي يستفيد في طفولته المبكرة من التربية التحضيرية مرشح بدرجة عالية للنجاح والتفوق في دراسته (ماقنيسون وآخرون Magnuson et al، 2007) وكذلك النجاح في الاندماج الاجتماعي والمهني عندما يصبح الفرد راشدا (هيكمان وآخرون Heckmen et al، 2004). ويمكن إرجاع ذلك إلى كون تطبيق برامج للتربية التحضيرية بصورة معممة يؤدي إلى تحسين صحة الأطفال والرفع من وتيرة نموهم البدني والذهني والانفعالي، مما يعني أنهم سيكونون مستعدين أكثر لمباشرة التعليم والنجاح في مختلف مستوياته، والوصول فيما بعد إلى تحقيق مردودية اقتصادية عالية نتيجة النجاح في اكتساب المعارف والمهارات. ومن أجل التوسع في هذه النقطة وإبراز أهمية التربية التحضيرية نقدم فيما يلي أهم الأسباب التي دفعت بالعديد من البلدان إلى العمل على تعميم برامج التربية التحضيرية، مع العلم أن هذه الأسباب متعددة (ناسلية، اقتصادية، تربوية واجتماعية وسياسية).

1.1 الأسباب الناسلية

إن مرحلة الطفولة المبكرة أساسية ليس فقط من أجل نمو ناسلي مناسب للطفل

وإنما أيضا من أجل ذلك الرجل الذي سيكون عليه الطفل في المستقبل. إن الطفل عند الولادة يكون غير قادر لوحده على التفاعل مع متطلبات المحيط؛ وبالتالي فهو في حاجة إلى الحماية والرعاية والتحضير مباشرة بعد الميلاد. يشرح دودسن (2006) في كتابه المشهور المعنون بـ "كل شيء يتم قبل ست سنوات"[2] أهمية ورهان التكفل التربوي بأطفال ذوي السن ما قبل المدرسة، ويبرز أهمية التعلم عندهم وهذا بناء على مفاهيم النظرية المعرفية لبياجيه[3].

وفي نفس الاتجاه يشير التقرير العالمي حول متابعة التربية للجميع لسنة 2007[4] والمخصص لمرحلة الطفولة المبكرة، بأن التعلم يبدأ مع الميلاد وأن التجارب الأولى للطفل تشكل القاعدة التي تبنى عليها كل التعلمات اللاحقة، وبالتالي فإن وجود قاعدة صلبة من التعلمات (صحة جيدة، تغذية مناسبة ومحيط مثير ومساعد) يساعد على تمكين المرور نحو المدرسة بسهولة وإتمام الدراسة بنجاح.

ونظرا لخصوصيات هذه المرحلة المبكرة من العمر فيما يخص النمو، سنتناول فيما يلي بالعرض والتحليل مختلف أنواع النمو (النمو بالنسبة للدماغ البشري-النمو الحسي/الحركي-النمو العقلي/المعرفي-النمو اللغوي/ التواصلي)، وذلك لتبيان أن هذه المرحلة تتميز بكونها حرجة من حيث سرعة النمو وإمكانيات التعلم ؛ مما يستدعي عدم الاكتفاء بتكفل ورعاية الوالدين، بل يجب تنظيم وتخطيط وتوجيه ما يقوم به الطفل في هذه المرحلة من نشاطات، وذلك من خلال برامج تربوية يشرف عليها معلمون متخصصون في مؤسسات تتوفر على محيط منظم وغني بالوسائل والأدوات التي تستثير استعدادات الطفل وتزيد من فعاليته ؛ فيتعلم وينمو ويتطور وهو يلعب.

1.1.1 نمو الدماغ البشري في الطفولة المبكرة

يتميز الدماغ البشري بتعقده وقدراته الكبيرة في التفاعل مع المثيرات، وخصائصه هذه تحددها طبيعة العوامل الوراثية والعوامل المحيطية. وفي إطار تأثير المحيط فإن مرحلة (3-0سنوات) تكتسي أهمية بالغة من حيث السرعة في النمو. حيث أن كل التفاعلات والحركات والانفعالات تتجسد بنشاط كهربائي وكيماوي قوي في الدماغ، حيث تنتظم مليارات الخلايا في شبكات مترابطة فيما بينها بواسطة آلاف المليارات من الوصلات العصبية. إن الشكل

2- Dodson (2006). Tout se joue avant 6 ans. Marabout Université.

3- Jean Piaget (1979). L'épistémologie génétique, que sais-je?, P.U.F, Paris.

4- UNESCO (2007). Rapport mondial de suivi sur l'éducation pour tous : Education et protection de la petite enfance.

(1) يبرز لنا سرعة نمو الدماغ (المراحل الحرجة) في السنوات الأولى في مختلف الجوانب.

إن سرعة نمو وتطور الدماغ في هذه المرحلة تفوق مختلف المراحل اللاحقة، ولهذا فإن تنظيم التربية التحضيرية وهيكلتها في هذا السن، يعتبر أمر أساسي وذلك من أجل توفير الشروط الضرورية لبداية قوية ومتينة فيما يخص نمو الدماغ لجميع الأطفال.

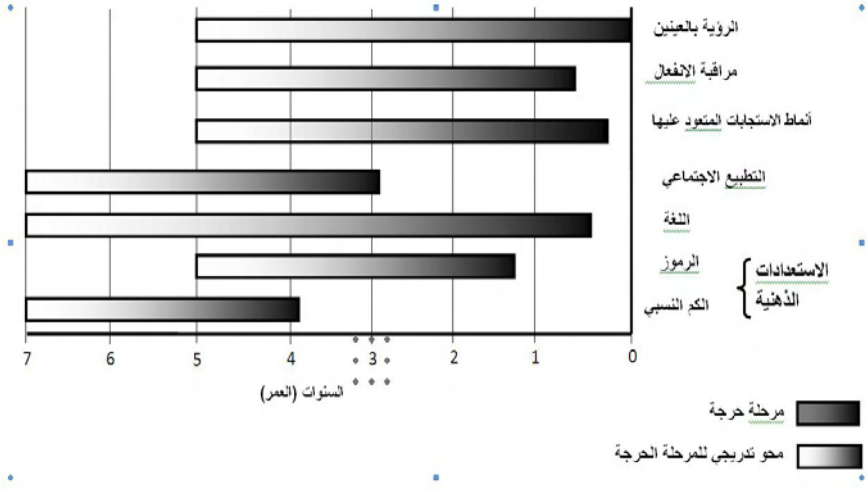

الشكل (1) نمو الدماغ : بعض المراحل الحرجة
Source: McCain, M et Mustard, f (1999). Reversing the real brain drain: early years study.

2.1.1 -النمو الحسي/الحركي

يوجد هناك أتفاق بين علماء النفس على أن الطفل الذي ينمو من الناحية الجسدية بصورة سوية، سيتمتع ببنية جسمية قوية ومهارات حركية، وسيتسم في الغالب بالثقة في النفس وبالاندماج الاجتماعي والتقدم الدراسي. وتظهر آثار الصحة العامة للطفل في درجة نشاطه وفعاليته وذكائه (إسماعيل، 1986). إن الطفل السليم الجسم يكون أقدر على التعلم من الطفل المعتلة صحته. ولهذا أهتم المربون في برامج التربية التحضيرية بوضع برامج لتنمية عضلات الطفل الكبرى وحواسه وذلك من خلال تمكينه من ممارسة القفز والجري والرمي من جهة ومن جهة أخرى التمييز بين الأصوات ومصادرها وطبقاتها والألوان وأنواع اللمس. وبرامج أخرى لتنمية وتدريب العضلات الدقيقة وما يرتبط به من مهارات دقيقة. ولهذا لقد أصبحت مؤسسات التربية التحضيرية كما يقول سعد مرسي (1998) بفضل الوسائل التي يهواها الأطفال، مؤسسة

للرعاية الجسمية إلى جانب التربية العقلية.

3.1.1 -النمو الانفعالي/الوجداني

إن مرحلة الطفولة المبكرة تعتبر مرحلة هامة جدا فيما يخص نمو الجانب الانفعالي/الوجداني للطفل، حيث تتشكل شخصيته الاجتماعية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تمارسها الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى مثل مؤسسات التربية التحضيرية. تهدف التنشئة الاجتماعية إلى تحويل الطفل من كائن بيولوجي بالدرجة الأولى إلى كائن اجتماعي يفكر ويسلك سلوكا يتماشى مع ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه.

إن الأسرة ومؤسسات المجتمع المختلفة تعمل على دمج الطفل في المجتمع، بتشريبه الثقافة العامة والخاصة للمجتمع من قيم وعادات وتقاليد وضوابط ؛ وتتبع المجتمعات التقليدية في ذلك في أغلب الأحيان نموذج الثواب والعقاب.

إن الطفل كما يشير إسماعيل (1986) في هذه المرحلة، رغم أنه في سنواته الأولى من العمر إلا أنه ليس كائنا متلقيا سلبيا فقط، بل هو كائن فعال يعمل على استدخال ثقافة المجتمع وتشربها وتكييف سلوكه تبعا لما تفرضه هذه الثقافة من ضوابط موظفا في ذلك أساليب الملاحظة والتقليد والتوحد.

وتجدر الملاحظة إلى آن أسلوب التنشئة الاجتماعية للأطفال في أي مجتمع يعكس نوعا ما مستوى تقدم المجتمع وثقافته، فالمجتمع التقليدي والأسر التقليدية مثل ما يقول شرابي (1984) يكونان في الغالب متسلطين، يربيان الطفل على الخضوع والانغلاق والطاعة العمياء واحترام السلطة دون نقاش، بينما المجتمع الديمقراطي والأسرة الديمقراطية يربيان الطفل على التفتح والانطلاق والاستقلالية وإبداء الرأي دون خوف. وبما أن التربية التقليدية هي السائدة في أغلبية المجتمعات والأسر العربية، فهي تميل في تنشئتها للأطفال إلى النموذج التسلطي، وبالتالي فإن مؤسسات التربية التحضيرية بهذه البلدان تصبح لديها أهمية خاصة، لتوسيع آفاق التنشئة الأسرية والتمهيد لتشكيل الشخصية الإبداعية عند الأطفال بدل الشخصية المقلدة ؛ ومن ثم كيف يمكن أن ننتظر ظهور أعداد كبيرة من المبدعين والمخترعين في البلدان العربية في ضل سيادة التنشئة التقليدية؟ حيث أن خلق فضاءات التربية التحضيرية والتي تكون قادرة على تجاوز حدوديات التربية الأسرية، سيكون لديها نتائج جد إيجابية. إن الهدف من تربية الأطفال ليس الوصول إلى إعادة إنتاج قواعد سير الكبار الحاليين والذين هم نسخ لمن سبقوهم، وإنما السير مع القواعد البيداغوجية الحديثة التي يمكن تطبيقها في مؤسسات التربية التحضيرية والتي هي مبنية على تشجيع المبادرة والتعبير الحر والسماح بارتكاب الأخطاء

بدون خوف من اجل التعلم وتفجير الطاقات الكامنة عند الفرد. وذلك لأن الهدف هو مساعدة هؤلاء الأطفال على تنمية قدراتهم المختلفة وخاصة منها الإبداعية إلى أقصى الحدود الممكنة بالنسبة إلى كل واحد منهم.

إن معالم شخصية الطفل من الناحية الاجتماعية تتشكل في هذه المرحلة المبكرة من النمو، وبالتالي يمكننا أن ندرك الأسباب التي جعلت الدول المتقدمة تهتم بهذه المرحلة وتعطي الأولوية للتربية التحضيرية، كما يمكننا أن نفهم لماذا يجب السير في هذا الاتجاه بالنسبة للبلدان العربية.

4.1.1 -النمو العقلي/المعرفي

تعتبر نظرية بياجيه مرجعية في النمو العقلي/المعرفي. مع العلم ان هذا العالم يذهب إلى أن النمو العقلي يمر بأربع مراحل. والجدير بالذكر هو أن المرحلتين الأوليتين تغطيان السنوات السبع الأولى من عمر الطفل وهما.

المرحلة الحسية الحركية

تغطي هذه المرحلة من النمو السنتين الأوليتين من عمر الطفل، وفيها تشكل حواسه وحركاته المنافذ والوسائل التي يتعلم من خلالها. إن إدراكه للعالم المحيط به في هذه المرحلة هو إدراك حسي /حركي، أي أن حواسه من لمس وبصر وسمع، هي التي تنقل إلى داخله خصائص وصفات الأشياء التي يتفاعل معها في محيطه، كما أن قدرته على الحركة والتنقل والمشي تسمح بارتياد أماكن جديدة والاحتكاك بعوالم طبيعية واجتماعية لم يكن متيسر له الاحتكاك بها والتفاعل معها قبل ظهور عملية المشي والتنقل لديه، مما يمكنه من استكشاف عوالم جديدة وخبرات جديدة كان تحصيلها من قبل يعتمد على الكبار الذين ييسرون له ذلك أو لا ييسرونه له (بياجيه 1985). إن التفكير في هذه المرحلة يسير بالتوازي مع تطور القدرات الحسية الحركية ويحقق قفزة نوعية بظهور مفهوم استقرار (بقاء) الشيء في أواخر السنة الأولى (الشهر التاسع) من عمر الطفل، حيث يصبح يدرك أن الأشياء مستمرة في الوجود رغم غيابها الحسي.

وبالإضافة إلى ذلك يحدث تطور هام في مجال التآزر الحسي/الحركي، وقدرة القبض على الأشياء واختبارها والتوجه نحو هدف معين تحدده العين أو الأذن، أو إنجاز فعل أو مهمة تتطلب تآزرا بين عضوين أو أكثر من الأعضاء الحسية الحركية كالعين واليد معا، أو الأذن واليد والرجل.

يمثل اللعب عند الطفل، كما يشير لوبلينسكايا (2000)، وتفاعل الطفل مع الأشياء المادية، وما يدخله على وضعياتها أو تركيبتها من تغييرات، مدخلا مناسبا

لظهور تصورات وأفكار وخطط وعمليات لديه من خلال الفعل والممارسة على الأشياء المادية .فالفعل والممارسة على الأشياء المادية المحسوسة يسبقان التفكير والتصور والتخيل في هذه المرحلة، وهما يوحيان به. كما يبدأ الطفل في اكتساب اللغة ويسبق فهمه لها استعمالها في التبادلات مع الآخرين، وهي وظيفة رمزية شبيهة بالتصورات والرموز التي يرمز بها الطفل إلى الأشياء الحاضرة أو الغائبة.

مرحلة ما قبل العمليات

تمتد هذه المرحلة من نهاية السنة الثانية من العمر إلى السنة السابعة، وتتميز بظهور ما يسميه بياجيه «التمثيل الرمزي»، ويقصد به قدرة الطفل على التعبير عن «شيء» لا يقع تحت حواسه بصفة مباشرة كما كانت الحال في المرحلة السابقة، بكلمة أو إشارة أو مخطط يرمز إلى هذا «الشيء».

ومن أهم ما يميز النمو العقلي/المعرفي في هذه المرحلة هو القدرة على استخدام اللغة وتسمية الأشياء، وظهور القدرة على التصنيف وتكون بعض المفاهيم مثل أكبر/أصغر، أطول/أقصر، أثقل/ أخف. لكن هذا النمو لا يعني أن الطفل قد صار قادرا على استخدام المفاهيم والرموز اللغوية مثلما يستخدمها الراشدون. فالطفل قد يطلق كلمة «القط» أو مفهوم «القط» على أي حيوان يشبهه، ولهذا يسمي بياجيه هذا النوع من المفاهيم بـ «ما قبل المفهوم».

ويحدد بياجيه خاصية رئيسية لكلام الطفل في هذه المرحلة يدعوها الكلام «المتمركز حول الذات» حيث كلام الطفل يكشف عن قلة اهتمامه بالآخرين أو وضع وجهة نظرهم في الحسبان، فهو يتكلم وكأنه يوجه الكلام إلى نفسه وليس إلى الآخرين، فالتبادلية في الحديث حسب بياجيه ضعيفة في هذه المرحلة (بياجيه 1976).

وتواجه الطفل في نشاطه الاجتماعي المعرفي في هذه المرحلة حسب بياجيه مشكلتان عليه أن يتغلب عليهما للمرور إلى المرحلة النمائية الموالية، وهما مشكلة التمركز حول الذات ومشكلة الاحتفاظ التي يعتبرها بياجيه أهم مشكلة تواجه تفكير الطفل في هذه المرحلة وتستمر إلى نهايتها. والمقصود بمشكلة «الاحتفاظ» هو إخفاق الطفل قبل نهاية هذه المرحلة في إبقاء صفات «الأشياء» مثل الكم والطول والحجم «ثابتة» في ذهنه رغم التغييرات التي تحدث عليها.

يعتبر فيجوتسكي من اهم المنتقدين لهذه النظرية المعرفية، حيث قدم عدة انتقادات لتصور بياجيه في كتابه التفكير واللغة[5]، نورد منها ما يلي:

5- فيجوتسكي ل.س، ترجمة طلعة منصور (1976). التفكير واللغة.

أ- يرى فيجوتسكي أن تفسير بياجيه لظاهرة «التمركز حول الذات»، لا سيما في المجال التواصلي/اللغوي، والتي تغلب على سلوك الطفل وتفكيره حسب بياجيه إلى حوالي السابعة من العمر محدود. حيث يقول فيجوتسكي بأن الطفل حتى وإن بدا كأنه يوجه الكلام إلى نفسه أثناء تفاعله مع الآخرين إلا أن القصد هو تواصله مع الآخرين، لكن تنقصه مهارات التواصل التي تحتاج إلى تدريب أطول من لدن الكبار في البيت وفي مؤسسات التربية التحضيرية.

ب- ونفس الملاحظة قدمها فيجوتسكي بالنسبة إلى تركيز بياجيه على المدى الواقعي للنمو، أو مستوى النمو الحالي لتفكير الطفل. ففيجوتسكي يورد فكرة "منطقة النمو المحتمل" والتي تفوق المدى الواقعي للنمو. إن مهمة التعليم في نظر فيجوتسكي ليست فقط تعليم الطفل ما يسمح به نموه الحالي، بل تشمل خلق منطقة النمو المحتمل، بمعنى مساعدة الطفل على تنمية العمليات العقلية التي تكون في طور التشكل من خلال استخدام الوسائل والأدوات المساعدة وكذلك من خلال التفاعل الاجتماعي والتوجيه والتعاون.

وبالإضافة إلى انتقادات فيجوتسكي يرى بعض الباحثين ومنهم بيتر براينت أن بياجيه لم يقدر تفكير الطفل تقديرا كافيا. حيث قدم براينت أدلة تدل على أن الأطفال دون السابعة من العمر يمكن لهم أن يقوموا بالاستنباط، ووجد أن الأطفال في سن الخامسة يمكن أن يدللوا عن طريق استبعاد العناصر التي تشكل عبئا على الذاكرة من المهمة، ويستطيعون معرفة أن (أ<ج) مستخدمين الاستنتاج من المعطيات.

يتضح لنا من خصائص النمو العقلي/المعرفي في المرحلة المبكرة من العمر (0 إلى 6 سنوات) أهمية تقديم الرعاية المنظمة والمختصة لأطفال هذه المرحلة من أجل خلق الشروط المناسبة لتحقيق نمو عقلي قوي لجميع الأطفال.

5.1.1 -النمو اللغوي/التواصلي

إن الطفل في الشهور الأولى من ميلاده وقبل أن يكتسب اللغة يتواصل مع المحيطين به بأساليب وطرق لفظية مثل الإشارات والإماءات غير اللغوية التي يرسلها له الكبار، فبمقدوره أن يقرأ ويتبادل معهم تلك الرسائل. لكن لا يلبث أن تحل اللغة برموزها عندما يبلغ نهاية السنة الأولى من العمر محل تلك الإشارات غير اللفظية(ريشل، 1984). وفي مستهل السنة الثانية من العمر يبدأ الطفل في التعبير عن حاجاته باستعمال كلمة واحدة للدلالة على جملة، ثم تتطور عملية اكتساب اللغة واستعمالها إلى التعبير بكلمتين لكن دون روابط

لغوية. وغالبا ما يكون رصيد الطفل اللغوي فيما بين السنة الثانية والسنة الثالثة مؤلفا من أسماء الأشياء الموجودة في بيئته لا سيما تلك التي يتفاعل معها، وكذلك بعض الألفاظ المرتبطة بأعمال وأحداث حسية.

ويضيف ريشل أنه عندما يبلغ الطفل السنة الرابعة من عمره يكون النمو اللغوي عنده سريعا، ويستطيع التعبير عن نفسه وعن حاجاته باللغة، فيكثر من الحديث الذي قد يوصف «بالثرثرة» ويوظف الروابط وحروف الجر والضمائر والتعليل. ويتيح النمو الجسمي والاجتماعي والعقلي للطفل تقدما كبيرا فيما بين الرابعة والسادسة من العمر، فيكثر من توجيه الأسئلة إلى الكبار المحيطين به رغبة في الاستطلاع والاستكشاف والفهم. وتقترب لغة الطفل فيما بين الخامسة والسادسة من لغة الكبار، ويصبح الطفل قادرا على إدراك مفهوم المكان حسيا، ويظهر التتالي الزمني في لغته.

إن اكتساب الطفل لكفاءة التحدث أو التواصل ترتبط بشكل وثيق بكفاءة الاستماع آو الإنصات؛ وذلك يتطلب تفاعلا لفظيا ثريا. ولكي يستطيع الطفل أن يتكلم لغة سليمة لابد أن يعيش في بيئة متكلمة ويسمع لغة سليمة، وهنا تبرز أهمية مؤسسات التربية التحضيرية.

إن السؤال الذي يطرح نفسه بعد عرضنا مختلف مظاهر (أنواع) النمو في مرحلة الطفولة المبكرة هو ما هي العلاقة الموجودة بين التربية التحضيرية ومتطلبات النمو في هذه المرحلة ونجاح الفرد والمجتمع؟

إن التمعن في خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة يجعلنا ندرك لماذا التربية التحضيرية ذات النوعية أي تلك التي تقدم برامج تربوية تحترم متطلبات وخصائص النمو في هذه المرحلة المبكرة، تعتبر عملية استراتيجيه وضرورية لأي مجتمع يريد أن يتقدم. وذلك لأن هذا النوع من التربية التحضيرية يساعد بشكل كبير على ضمان النمو السوي والسريع للأجيال الصاعدة وبالتالي ظهور أجيال أكفء وأقدر وتكون مهيأة أحسن لتحقيق تقدم المجتمع وعدم التراوح في نفس المكان.

2.1 -الأسباب التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية

بيَّن العديد من المختصين ذوي الصيت العالمي النتائج الإيجابية من الناحية الاقتصادية للتكفل التربوي المبكر بالأطفال. فجيمس هيكمان صاحب جائزة نوبل للسلام في الاقتصاد يقول «تعتبر السنوات الأولى من حياة الطفل مرحلة حساسة لإنتاج مهارات ذهنية، فالتدخلات المبكرة تؤدي إلى تحسين نتائج التمدرس وخفض مستويات الجريمة وتشجع على الإنتاجية ؛ كما أن هذه

التدخلات تعتبر فعالة أكثر من أي تدخلات لاحقة "ويضيف" إن رؤوس الأموال المستثمرة في المهارات الثقافية- الاجتماعية للأطفال تعتبر من الناحية الاجتماعية والاقتصادية أكثر مردودية من الاستثمارات الموجهة للهياكل القاعدية والبرامج الخاصة» (2004). وفي نفس الموضوع أشار تقرير اليونيسف (2001) الخاص بوضعية الأطفال في العالم إلى ما يلي «إن كل دولار مستثمر في تنمية القدرات الفيزيقية والذهنية للرضع والأطفال الصغار يجلب أرباحا تقدر بسبعة دولارات والتي تمثل في الأساس النتائج الاقتصادية التي ستحقق فيما بعد». ولهذا نجد المؤسسات المالية مثل البنك العالمي، تشجع وتمول وضع البرامج التحضيرية الموجهة لأطفال المرحلة المبكرة. وبالإضافة إلى هذه الجوانب الاقتصادية الإيجابية للتربية التحضيرية يمكن الإشارة إلى أن وجود مؤسسات تربوية رسمية ذات نوعية تتكفل بالأطفال الصغار، قريبة من مقرات السكنات يريح العائلات ويسمح للراشدين إلى الذهاب إلى أعمالهم، مصدر خلق الثروة في المجتمع، لتأديتها والإياب براحة واطمئنان، مما يعني المساهمة في الحفاظ على مستويات الأداء عند هؤلاء الراشدين.

أما فيما يخص الفوائد التربوية والاجتماعية فإننا نجد العديد من الدراسات التي أجريت في العديد من البلدان المتقدمة مثلا، فرنسا، النرويج، كندا، الدنمارك، الولايات المتحدة[6]، بهدف الحصول على معلومات حول التأثير المستقبلي للتربية التحضيرية على أداء الأطفال الذين استفادوا من برامجها على كل من التعليم في مختلف المراحل (التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي) وإمكانيات الحصول عند الرشد على العمل وضمان الدخل. تشير النتائج بوضوح إلى أن توسيع برامج التربية التحضيرية لتشمل أطفال أكثر من ذوي سن المرحلة المبكرة يؤدي إلى تحسينات هامة بالنسبة للأطفال الذين استفادوا من هذا النوع من التربية وهذا سواء فيما يخص النتائج المدرسية عند الدخول المدرسي أو في المراهقة أو فيما يخص الحصول على العمل أو الدخل عند الرشد. إن هذه التحسينات في الغالب ما تكون أهم بالنسبة إلى فئة الأطفال المعوزة أي أطفال الأسر ذوي الدخل الضعيف أو أطفال أسر المهاجرين. إن النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسات تؤكد على نقطتين:

أولا- إن الحصول على هذه الفوائد يتطلب وجود هياكل رسمية تقدم تربية تحضيرية، غير الرعاية الوالدية، وتكون ذات نوعية وبأسعار معقولة.

ثانيا- إن مستوى الفوائد أعلى بالنسبة للأطفال من ذوي الأسر غير الميسورة

6- France: Dumas And Lefranc (In press), Norway: Havnes and Mogstad (2011). Canada: DeCicca and Smith (2011). USA : Magnuson et al (2007a et b), Danmark: Bingly Westergaard-Nielsen (In press).

ولهذا يجب التركيز خاصة على هذه الفئة.

فإذا كانت نتائج التربية التحضيرية القريبة والبعيدة الأمد على المسار المدرسي والمهني لأطفال ذوي السن ما قبل المدرسة بهذه الصورة الإيجابية في البلدان المتقدمة ؛ وهذا رغم أن الأسر في هذه البلدان تتمتع بمستوى ثقافي واقتصادي أعلى من مستوى الأسر في البلدان العربية، فإنه يمكن وبدون خوف من الوقوع في الخطأ إفتراض بأن العمل على توسيع التربية التحضيرية ذات النوعية في البلدان العربية سيؤدي هو الآخر إلى نتائج ايجابية، وذلك لأن مثل هذا العمل سيفتح آفاق لنمو أسرع وأقوى للأطفال، مما سيساعدهم على النجاح في حياتهم الدراسية والمهنية فيما بعد.

وفي نفس الاتجاه، نشير إلى أن عملية مكافحة كل من ظاهرة التبديد المدرسي في التعليم الأساسي (الإعادة المدرسية والتسرب المدرسي) المنتشرة خاصة في البلدان النامية (بوسنه 2011) وظاهرة الفوارق الاجتماعية وعدم المساواة بين الجنسين، تمر بالضرورة عن طريق توفير التربية التحضيرية للأطفال الصغار(0 إلى 6 سنة). حيث تبين النتائج المتوفرة[7] إلى ما يلي :

– إن الأطفال الذين استفادوا من التربية التحضيرية لديهم دافعية أعلى وأداء أحسن وعلاقتهم مع زملائهم والمعلمين أكثر توافقا. ولهذا فإنهم يتعرضون بصورة أقل للإعادة المدرسية أو التسرب المدرسي ؛ وبالتالي فإن تعليمهم الأساسي يكلف المجتمع أقل من الفئة الثانية ويفتح آفاق أحسن لتطور المجتمع.

– إن الراشدين الذين تحصلوا في صغرهم على تربية تحضيرية ذات نوعية ينجحون أحسن في نشاطهم المهني ويكونون أكثر استعدادا لتأسيس أسرة واحتمال أقل للسير في مسارات الانحراف.

أما فيما يخص الأسباب السياسية التي أدت بالعديد من البلدان إلى تعميم التربية التحضيرية على جميع الأطفال من ذوي سن المرحلة المبكرة، فهي متعددة. إن اعتماد سياسة تربوية تدمج مخططات خاصة بتعميم التربية التحضيرية من المفروض أنها ستؤدي إلى نجاح أغلبية الأفراد في مسارهم المدرسي والمهني وبالتالي ستساعد على ظهور قيم التعاون والمشاركة في المجتمع. وهذا يعود بتمتين دعائم الدولة وأواصر الترابط بين مجموع الأفراد.

7– Bamhamed, M. (2009). Bennett, J et Neuman, M.J. (2004). Boussena, M. et al (2009), Doldson, F. (2006). Hekman, J. et Masterov, D.V. (2004). UNICEF (2007).

كما أن إدراج الطفولة المبكرة في المخططات التربوية والثقافية، الوطنية منها والمحلية (البلدية) يعتبر خطوة أساسية في الاعتراف بأن هذه الفئة هامة وأن مسؤولية التكفل بها لا تقع فقط على عاتق الأسرة، وإنما تساهم مؤسسات الدولة على المستوى الوطني والمحلي بفعالية في التنظيم والإشراف على هذا التكفل لدعم وتكملة التكفل الأسري وذلك من أجل الطموح إلى إعداد الرجال والنساء القادرين على تحقيق التقدم المستمر للمجتمع.

2 - واقع التربية التحضيرية في البلدان العربية: مقارنة مع المناطق الأخرى من العالم

سنقدم فيما يلي عرضا حول النتائج المتوفرة فيما يخص تطور خدمات التربية التحضيرية لفئة أقل من 3 سنوات و فئة 3 سنوات فما فوق على التوالي. إن هذا التصنيف ناتج عن خصوصية الهياكل والتنظيم التربوي الموجهة لهاتين المرحلتين الفرعيتين من الطفولة المبكرة.

1.2 - مدى استفادة فئة الأطفال الصغار (أقل من ثلاثة سنوات) من التربية التحضيرية في البلدان العربية.

تعتبر التربية التحضيرية الموجهة لفئة أقل من 3 سنوات، الفعل التربوي الأمثل لتدعيم الوالدين في تحقيق الرعاية والتحضير المناسبين لأبنائهم. فالتربية التحضيرية في هذه المرحلة تعتبر سيرورة من التسهيلات والإيقاظ والإثراء لنمو الطفل الصغير في مختلف الجوانب. حيث تكون برامج التربية التحضيرية الشاملة الموجهة لهذه الفئة من الصغار تتضمن عدة برامج متخصصة (برنامج يخص التغذية وبرنامج يخص الصحة (المتابعة والتلقيح) وبرنامج للإيقاظ يخص النمو الذهني والانفعالي. وتجدر الإشارة إلى أن برامج التربية التحضيرية الموجهة لفئة أقل من ثلاثة سنوات تطبق بصفة رسمية ومنظمة فقط من طرف 53 % من بلدان العالم[8].

إن الاهتمام بتطبيق مثل هذه البرامج موجود في أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية وآسيا الوسطى وأمريكا اللاتينية ومنطقة الكراييب. أما الحكومات في المناطق الأخرى من العالم ومن بينها أغلبية البلدان العربية، فإنها تعتبر حماية وتربية الصغار الذين لديهم أقل من ثلاثة سنوات من صلاحيات الوالدين والأسرة بالدرجة الأولى، وتعمل على تقديم في أحسن الحالات العناية والمتابعة الصحية مثلا برامج التلقيح؛ وبالتالي نجد القليل من الأطر الوطنية للتموين

8- UNESCO (2007).Rapport mondial de suivi sur l'éducation pour tous.

والتنسيق والإشراف على مثل هذه البرامج التربوية.

وتبين المعطيات المتوفرة فيما يخص البلدان العربية أن 35 % فقط من بين العشرين دولة المدرجة في تقرير 2008 لليونيسكو لديهم برامج خاصة بهذه الفئة[9]. مع العلم أن المعلومات تبقى محدودة فيما يخص العديد من المتغيرات مثل المدة (الحجم الساعي في الأسبوع أو اليوم) والبرنامج والإشراف، فمثلا في سوريا ولبنان المدة المخصصة لمثل هذه التربية هي 4 ساعات أو أقل في اليوم، أما في بلدان مثل الجزائر فتدوم طوال النهار أي 8 ساعات.

إن هذا النقص الكبير فيما يخص التكفل التربوي المنظم الخاص بالأطفال الصغار (فئة أقل من ثلاثة سنوات) بالإضافة إلى تطور نسبة الأمهات العاملات أدى إلى تحويل البيوت خاصة في المدن الكبرى إلى ديار تستقبل الأطفال الصغار بما في ذلك الرضع، في أوقات العمل. تشرف على هؤلاء الأطفال ربات بيوت ليس لديهن أي تكوين مناسب للقيام بمثل هذه المهام. مع العلم أن هذا النشاط المهني أصبح سوقا يجدب الكثير من الأشخاص الطبيعيين وهو في تطور مستمر في العديد من البلدان العربية، لكن بدون أية تنظيم وإشراف رسمي فعلي، كما هو الحال في الجزائر[10].

2.2 -مدى استفادة الفئة الثانية من الأطفال (3سنوات إلى أقل من 6 سنوات) من التربية التحضيرية في البلدان العربية

إن عدد الملتحقين بالتربية قبل المدرسية من فئة 3 سنوات فما فوق، عرف تزايدا مستمرا منذ تبني «إطار دكار للعمل» سنة 2000. إذ أننا نجد في سنة 2006 عدد المسجلين عبر العالم أصبح يقدر بـ 139 مليون طفل(ة) مقارنة مع 112 مليون في سنة 1999[11].

ومن أجل تبيان الاختلافات الواسعة بين مناطق العالم فيما يخص هذا النشاط التربوي الهام والبلدان العربية، نقدم البيانات الموالية والمتوفرة فيما يخص مستويات نسب التمدرس الإجمالي[12] في التربية ما قبل المدرسية. فالإحصائيات المتوفرة حول حجم المسجلين في التربية ما قبل المدرسة فيما يخص فئة 3 سنوات فما فوق، تشير إلى أن عددهم وصل في البلدان العربية إلى حوالي ثلاثة ملايين طفل(ة) في سنة

9- UNESCO (2008). EFA Global Monitoring Report , Regional overview: Arab states.

10- Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle (2005). INSANIAT N° spécial : Le préscolaire en Algérie.

11- UNESCO (2009). Rapport mondial de suivi sur l'éducation pour tous.

12- Gross Enrolment Ratio (GER).

2006، وهذا بزيادة تقدر بـ: 26 % مقارنة مع عدد هؤلاء الأطفال في سنة 1999[13]. وتجدر الإشارة إلى أن مستوى هذا الحجم بقي يمثل نسبة بسيطة فقط من الأطفال المعنيين بهذه التربية، حيث أن نسبة التمدرس التحضيري الإجمالي في البلدان العربية لم تتجاوز 18 % ؛ مقارنة مع متوسط البلدان المتطورة 79 % (وصلت نسبة هذا المؤشر في العديد من البلدان المتطورة إلى 100 %) ومتوسط مجموع البلدان النامية 36 % (بما فيها البلدان العربية). مع العلم أن مؤشر نسبة التمدرس الإجمالي بالنسبة إلى ستة بلدان عربية يساوي أقل من 10 %. إن التقارير التربوية الدولية لمنظمة اليونسكو تشير إلى أن مستويات التسجيل في التربية ما قبل المدرسية بالبلدان العربية تأتي في مؤخرة مناطق العالم من حيث الترتيب، فهي تسبق منطقة جنوب الصحراء الكبرى لإفريقيا فقط.

إن هذه الاختلافات الواسعة بين مناطق العالم نجدها كذلك فيما بين البلدان العربية نفسها. يبين لنا الشكل(2) الفوارق في نسب التمدرس التحضيري الإجمالي وطبيعة الزيادات التي حصلت في هذه النسب من 1999 إلى 2006 بـ 18 بلد عربي.

يمكننا أن نلاحظ من خلال الشكل(2) الفوارق الواسعة بين الدول العربية فيما يخص نسب التمدرس الإجمالي بالنسبة للتربية ما قبل المدرسية، وتجدر الإشارة إلى أن القدرات المالية لا تبدو لديها التأثير الكبير على هذه الفوارق.

وبالإضافة إلى الاختلافات الواضحة فيما بين البلدان العربية، يوجد هناك اختلافات جوهرية أخرى ضمن البلد العربي الواحد. حيث تخبرنا المعطيات المتوفرة عن وجود فوارق ذات دلالة فيما يخص الاستفادة من هذا النوع من التربية بين أطفال المناطق الحضرية والمناطق الريفية وبين أطفال الأسر الميسورة وأطفال الأسر الفقيرة. ففي هذا الإطار تشير نتائج عدة مسوح حول هذا الموضوع إلى أن نصيب أطفال الأسر الفقيرة والريفية من هذه التربية محدود جدا (اليونسكو 2008)، ففي سوريا مثلا نجد نسبة الالتحاق عند أطفال الـ 20 % من الأسر الأكثر ثراءا تساوي خمس مرات مستوى نسبة الالتحاق عند أطفال أسر الـ 20 % الأكثر فقرا. والنتائج في مصر تسير في نفس الاتجاه، ففي سنة 2005/06 بينت البيانات بأن 2 % فقط من أطفال أسر الـ 20 % الأكثر فقرا استفادوا من التربية قبل المدرسية مقابل 40 % من أطفال أسر الـ20 % الأكثر ثراءا.

13- UNESCO (2008). EFA Global Monitoring Report , op.cit.

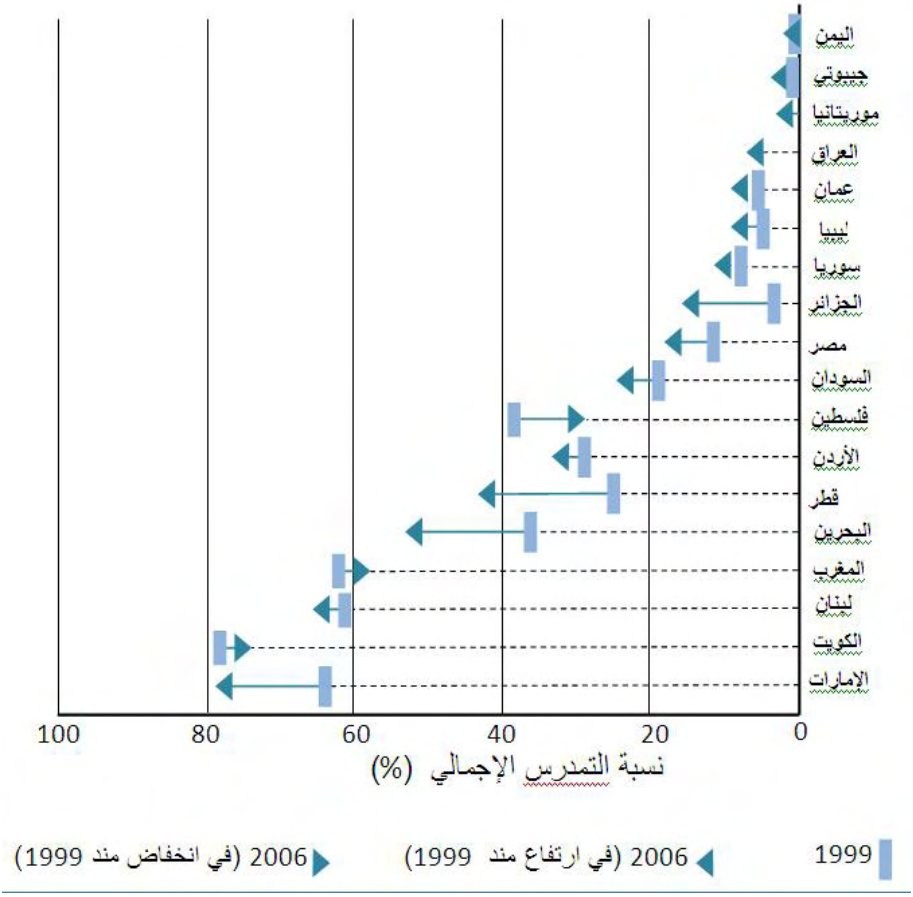

الشكل (2): التغيرات التي حصلت في نسب التمدرس التحضيرية الإجمالي بالبلدان العربية فيما بين 1999 و2006

Source : UNESCO (2008). EFA Global Monitoring Report, Regional overview: Arab states

3 -التربية التحضيرية في الجزائر: المسار والآفاق

سنتناول التربية التحضيرية في الجزائر من خلال عرض المسار منذ استرجاع الاستقلال في سنة 1962 إلى يومنا هذا وتقديم بعض الإحصائيات المعبرة عن وضعية هذه التربية والتحليل المناسب.

1.3 -المسار

ورثت الجزائر بعد استرجاع استقلالها وضعا كارثيا فيما يخص النظام التربوي (بوسنه وآخرون 2009)، حيث كان يتميز بما يلي:

- وجود عدد قليل من المدارس الخاصة بالتربية التحضيرية والتي كانت تستقبل أطفال سن الرابعة والخامسة من أبناء المعمرين والقليل من الجزائريين المحظوظين ؛ وعددا آخر من مدارس التربية التحضيرية التي أنشأها الآباء والأخوات البيض لا سيما في المدن الكبرى وهذا في إطار عملهم الخيري الذي كانت ترعاه الإدارة الاستعمارية.
- نقص كبير في الهياكل والإمكانيات البشرية (المعلمين، المربين...) وهذا بالنسبة لمختلف مراحل التعليم.
- وجود نسبة عالية من الأميين (أكثر من 85 % من الأميين).
- إنخفاض نسبة التمدرس في الابتدائي حيث كان هناك أكثر من 80 % من الأطفال غير متمدرسين. وبصورة عامة فإن عدد المسجلين في مختلف مراحل التعليم كانت ضعيفة، إذ أنها كانت تقدر بأقل من 1/10 تعداد المجتمع.
- عدم تكيف برامج التعليم في مختلف المراحل مع ثقافة وحضارة المجتمع الجزائري.
- وجود فوارق كبيرة بين المدن والريف فيما يخص نسب التمدرس.

ونتيجة لهذا الواقع المعقد ركزت الجزائر في بداية الستينيات على تخصيص كل الطاقات المتوفرة لتطوير قدرات الاستقبال في التعليم القاعدي (الابتدائي) وأهملت التربية التحضيرية. ويمكننا أن نميز بين ثلاث مراحل عرفتها السياسة التربوية فيما يخص التربية التحضيرية منذ 1962 إلى الوقت الحالي، وهي:

- المرحلة الأولى: المد والجزر (من 1962 إلى 1990)

استلمت الجزائر غداة استرجاع استقلالها في 1962 جميع المؤسسات التربوية التي كانت تتبع الإدارة الاستعمارية، وبقيت المؤسسات التابعة

للإرساليات الفرنسية تشتغل تحث إشراف هذه الأخيرة إلى أن صدرت الأمرية رقم 35/1976 حول التربية والتكوين في 16 أفريل 1976، حيث أممت هذه المؤسسات وضمتها إلى وزارة التربية الوطنية. وتجدر الإشارة إلى أنه في بداية هذه الفترة (1965-1962) استمرت المدارس التي كانت في عهد الإدارة الاستعمارية تقدم التربية التحضيرية في تأدية نفس النشاط التربوي، وفي سنة 1965 اتخذت وزارة التربية قرارا بتحويلها إلى مدارس ابتدائية وذلك لمواجهة ضغط الطلب الاجتماعي على هذا التعليم القاعدي.

إن السبب الرئيسي – العلني وراء تخلي وزارة التربية عن التربية التحضيرية هو من أجل توجيه كل الإمكانيات والموارد إلى تحقيق تعميم التعليم الابتدائي. ولكن هذا السبب لوحده يبدو أنه غير كاف لتفسير مثل هذا القرار السلبي، خاصة وأن السياسي عندما اتخذ هذا القرار لم يكلف نفسه عناء التفكير في اقتراح البديل، مثلا فتح المجال للقطاع الخاص الذي يمكن أن يعوض وزارة التربية في تقديم هذه الخدمة التربوية الهامة. ولهذا فإن عامل الخلفية الثقافية المتصلة بنظرة المجتمع للطفل قد تكون وراء مثل هذا القرار. فالطفل في هذه المرحلة المبكرة في بلد عربي مثل الجزائر يعتبر غير موجود ككيان لديه هوية مستقلة. فالطفل في تصور الثقافة العربية عموما يعتبر من الشؤون الداخلية للوالدين، وهو عبارة عن صفحة بيضاء يمكن للكبار أن يكتبوا عليها ما يريدون. ولهذا فإن العائلة وبالأساس الوالدان هما اللذان يتحملان مسؤولية الإشراف والحماية والتربية والتحضير إلى الدخول إلى عالم الكبار. إن هذا العامل الثقافي الاجتماعي يفسر لنا، إلى حد ما، لماذا في الجزائر والبلدان العربية، تُركت فيها التربية التحضيرية خلال العقود الفارطة لمبادرات الأولياء وأن تطور هذه التربية كان دائما بطيئا ومشروطا بمدى توفر الوسائل.

والجدير بالذكر هو أن التغيرات الاجتماعية التي عرفتها الجزائر في العقود الأخيرة أدت إلى تطور كل من:

- الطلب الاجتماعي على النماذج المختلفة للتكفل التربوي بالأطفال ذوي السن أقل من ست سنوات
- والسياسة التربوية فيما يخص التربية التحضيرية.

مما يدل على تغير على مستوى البنية الثقافية للمجتمع، وهذا ما سنبينه من خلال الفقرات الموالية مع تقديم بعض الإحصائيات.

لقد شهد النصف الثاني لهذه المرحلة (1990-1976) نوعا من التحرك الإيجابي وهذا بعد صدور الأمرية رقم 35/76 في 16 افريل 1976، حيث تم إصدار في نفس السنة النصوص التشريعية التنظيمية للتربية التحضيرية في النظام

التربوي الجزائري وفي القطاعات ذات الطابع العمومي ؛ وتم الشروع في فتح مؤسسات وأقسام التربية التحضيرية في القطاعات العمومية (الشركات العمومية الكبيرة، الوزارات، الولايات...) وقطاع التربية الوطنية . وفي سنة 1984 تم إنتاج وثائق تربوية هامة (وثيقة المناهج ووثيقة التوجيهات)، وأما الوثيقة المرجعية للتعليم التحضيري فصدرت فيما بعد (سنة 1990). تعتبر هذه النصوص هامة جدا لأنها المرة الأولى في تاريخ الجزائر المستقلة التي تصدر فيها نصوصا تشريعية لبناء ميدان التربية التحضيرية وهذا بعد ما تخلت عن الموروث من العهد الاستعماري السابق في سنة (1965).

- المرحلة الثانية : فتح المجال للقطاع الخاص (من 1990 إلى 2004)

عرف ميدان التربية التحضيرية مع بداية هذه المرحلة انتعاشا فعليا سواء على المستوى التشريعي والتنظيمي أو على المستوى الاستراتيجي. حيث فتح المجال واسعا أمام مختلف الفاعلين، بما في ذلك القطاع الخاص. إن صدور القرار رقم 382/92 في 13 أكتوبر 1992 والمتعلق بشروط إنشاء وفتح وتسيير مراكز الاستقبال والرعاية الخاصة بالأطفال الصغار، أدى إلى خلق ديناميكية جديدة ساعدت على حدوث تطور في هذا الميدان.

يميز هذا القرار بين نوعين من التكفل والرعاية الموجهة للأطفال الصغار:

- الرعاية المحدودة (واحد أو مجموعة من الأطفال) أو الرعاية في المنزل والتي يجب أن يشرف عليها أفراد مؤهلون كما أن ممارسة هذا النوع من النشاط مشروط بضرورة الحصول على رخصة من مصالح الولاية المختصة في الحماية الاجتماعية. وتجدر الملاحظة هنا بأن هذه الإجراءات بقيت بعيدة عن التطبيق الفعلي، وذلك لوجود صعوبات متعددة في التحكم في تطور السوق الموازية غير الرسمية فيما يخص التكفل بالأطفال الصغار في البيوت الخاصة.
- الرعاية الموسعة والمنظمة بصورة مستمرة في مراكز مختصة. إن هذا النوع من المراكز المختصة في التكفل ورعاية الأطفال ذوي السن المبكرة، يمكنها أيضا أن تتحصل على رخصة فيما يخص التربية التحضيرية الموجهة لذوي السن الخامسة.

وتكملة لهذا الدفع عرفت هذه المرحلة حدثا هاما في 2002 معلنة بذلك عن بداية مرحلة جديدة ؛ حيث درس مجلس الوزراء في 30 أفريل من هذه السنة وصادق على مخطط تنفيذ إصلاح التعليم والذي تضمن فيما يخص التربية التحضيرية دعوة إلى التعميم التدريجي وفي حدود الإمكانات المتوفرة للدولة، للتربية التحضيرية على الأطفال البالغين من العمر خمس سنوات.

- المرحلة الثالثة: البداية في تعميم التعليم التحضيري بالنسبة لذوي سن الخامسة (من 2004 إلى 2008)

الشروع في التطبيق الفعلي للإصلاح التربوي المعلن عنه في اجتماع الوزراء السابق الذكر عند الدخول المدرسي لسنة 2003/04. تعتبر الإصلاحات الهيكلية للنظام التربوي من أهم التغيرات الناتجة عن هذا الإصلاح. حيث قررت الإصلاحات الانتقال فيما يخص تنظيم التعليم الإلزامي (16-6 سنة)، من نظام التعليم الأساسي الذي يتكون من ثلاثة أطوار وكل طور به ثلاثة سنوات، إلى تطبيق النظام العالمي أي 5 سنوات في التعليم الابتدائي و4 سنوات في التعليم المتوسط.

إن هذا التغير أدى إلى ربح قسم في كل المدارس التي كانت مخصصة للطورين الأول والثاني (6 سنوات) والتي أصبحت مخصصة للتعليم الابتدائي (5 سنوات). وبناء على هذا المعطى اتخذت وزارة التربية قرارا بتحويل هذه الأقسام إلى أقسام خاصة بتقديم التربية التحضيرية لذوي سن الخامسة. مع العلم أن التطبيق الفعلي لهذا القرار كان في سنة 2008/09 وذلك لأن عملية الانتقال من نظام التعليم الأساسي فيما يخص الطورين الأولين إلى التعليم الابتدائي استغرقت خمس سنوات ؛ لأن عملية التغيير كانت سنة بسنة وليس دفعة واحدة وهذا لتفادي أية خلل فيما يخص سير دفعات النظام القديم.

ولهذا مباشرة بعد الانتهاء من بقايا النظام التعليمي السابق أي التعليم الأساسي في السنة الدراسية 2008/09 تم استقبال عدد كبير من الأطفال ذوي السن الخامسة في هذه الأقسام لمتابعة التربية التحضيرية. وتعتبر هذه الخطوة هي بداية فعلية لعملية تعميم التربية التحضيرية فيما يخص الأطفال ذوي سن الخامسة.

2.3 -بعض المعطيات الإحصائية

تشير المعطيات الإحصائية المتوفرة لدى وزارة التربية الوطنية إلى أن واقع التربية التحضيرية في الجزائر، استمر منذ استرجاع الاستقلال إلى غاية بداية النصف الأول من العشرية الأولى للقرن الحالي في الاقتصار على مجموعة قليلة من الأطفال ذوي السن ما قبل التمدرس (حول 10 %). والجدير بالذكر هو أن أغلبية هؤلاء الأطفال ينتمون إلى الأسر الميسورة من الناحية الثقافية والاجتماعية و/أو المهنية والاقتصادية؛ كما أن أغلبيتهم تسكن في المدن الكبرى. ومع الدخول المدرسي لسنة 2008/09 ارتفعت النسبة لتقترب من 80 % وذلك بسبب التغيرات التنظيمية والهيكلية لنظام التعليم الأساسي كما شرحنا سابقا.

يوجد في الجزائر تفرقة بين ثلاثة أنواع من التربية التحضيرية الموجهة لأطفال سن المرحلة المبكرة وهذا بناء على التفرقة بين ثلاثة فئات عمرية: النوع الأول ويسمى بـ "التربية قبل المدرسية" وتخص الأطفال فيما بين 3 و6 سنوات والنوع الثاني يسمى بـ"التربية التحضيرية" ويخص الأطفال ذوي سن الخامسة فقط وهذا حسب ما حدده القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 04.08 (الإصلاح التربوي المشار إليه سابقا). مع العلم أن أقسام التربية التحضيرية هذه يتواجد فيها دائما نسبة من الأطفال ذوي السن أقل من الخمس سنوات أي من ذوي 4 وحتى 3 سنوات وهذا نتيجة التدخلات وحصول بعض الأولياء على التراخيص للتسجيل. وتجدر الإشارة إلى أن التربية التحضيرية هذه قبل الإصلاح التربوي الأخير كانت تتكون من سنة أولى موجهة لأطفال ذوي سن الرابعة وسنة ثانية موجهة لذوي سن الخامسة. وبالإضافة إلى هذين النوعين نجد نوع ثالث من الأعداد التربوي للصغار، يتميز هو الآخر من حيث الهياكل والتنظيم ويخص فئة الأطفال ذوي السن الأقل من 3 سنوات ويسمى بـنشاطات "الإيقاظ".

1.2.3 -التربية التحضيرية الموجهة إلى ذوي سن الخمس سنوات

تبين إحصائيات وزارة التربية الوطنية[14] فيما يخص عدد المسجلين في أقسام التربية التحضيرية لسنة 1995/96 أنها تقدر بـ 31897 طفل(ة) من بينهم 15669 بنت من ذوي سن الخامسة (مع العلم أنه يوجد بينهم نسبة قليلة من الأطفال ذوي سن الرابعة). ولقد وصل هذا العدد في سنة 2000/01 إلى 46670 طفل(ة) من بينهم 22768 بنت. يمكننا أن نشير هنا، فيما يخص هذه البيانات، إلى التناسب الكبير بين الجنسين، وهذا بالإضافة إلى الملاحظة الأساسية وهي كون عدد المسجلين المعلن عنها لا يمثل سوى نسبة قليلة جدا من التعداد الإجمالي لهؤلاء الأطفال في المجتمع (أقل من 5 %). إن هذه النتيجة (التناسب من حيث العدد بين البنات والذكور) تذهب في اتجاه التأكيد على أن أغلبية هؤلاء الأطفال ينتمون إلى أسر متعلمة وميسورة اجتماعيا ومهنيا. مع العلم أن مثل هذه المعطيات نجدها بنفس الصورة في البلدان العربية الأخرى[15].

إن واقع هذا النوع من التربية التحضيرية في الجزائر عرف قفزة نوعية من الناحية الكمية في سنه 2008/09، (أنظر الشكل 3). يتضح لنا من هذا الشكل

14- مديرية التخطيط (ماي 2002). سلسلة إحصائية من 1962 إلى 2002، وزارة التربية الوطنية- الجزائر

15 - UNESCO (2007). op.cit.

- Khaled El-Andaloussi (2011). Petit enfance et éducation préscolaire au Maroc.

أن نسب الأطفال ذوي الخمس سنوات المسجلين في أقسام التربية التحضيرية التابعة لوزارة التربية الوطنية ارتفعت من 8,49 % في سنة 2002/03 إلى 78,2 % في سنة 2008/09 وهذا مرة واحدة وبدون أية تدرج. والملاحظ هو أن الزيادات التي يمكن أن نشاهدها بالنسبة للسنوات السابقة كانت بسيطة.

يجب الإشارة هنا إلى أن هذه القفزة الخاصة من حيث عدد المسجلين، تعود إلى سببين رئيسيين وهما :

أولا- تغير في السياسة التربوية فيما يخص التربية التحضيرية مع قرارات الإصلاح التربوي الأخير حيث تعلن المادة رقم 41 من القانون التوجيهي للتربية رقم 04/08 على أنه بغض النظر عن الطابع غير الإلزامي للتربية ما قبل المدرسية، تسهر الدولة على تطوير التربية التحضيرية وتواصل تعميمها بمساعدة الهيئات والإدارات والمؤسسات العمومية والجمعيات وكذا القطاع الخاص.

ثانيا- ربح حجر في المدارس الابتدائية نتيجة الإصلاحات الهيكلية للنظام التربوي الذي بدأ في سنة 2003/04، وتم استغلالها في تعميم التربية التحضيرية.

ومن أجل التدقيق في عدد المسجلين في أقسام التربية التحضيرية نقدم الجدول الموالي (3) والذي يعرض علينا بيانات تشمل مختلف الفاعلين في هذا الميدان بالنسبة لسنة 2008/09 وسنة 2009/10.

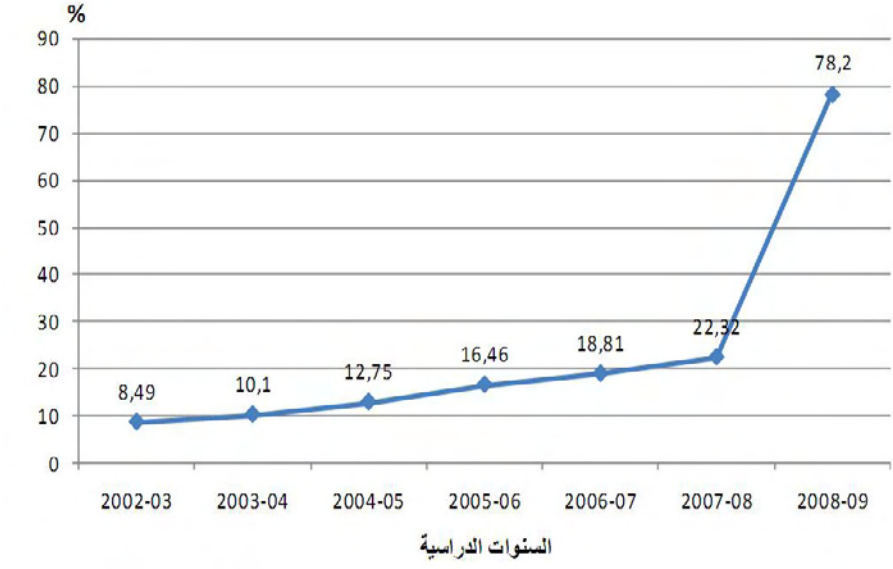

الشكل (3) نسب تسجيل أطفال ذوي سن الخامسة في التربية التحضيرية
المصدر: بوسنه وآخرين (2009)

الجدول (3) عدد المسجلين في أقسام التربية التحضيرية في مختلف القطاعات

	سنة 2009-2008			
	وزارة التربية	القطاع الخاص	المساجد	*المجموع
أقل من 4 سنوات	1394	98	21584	23076
سنوات 4	3716	235	14792	18792
سنوات 5	409094	906	17767	427768
المجموع	414204	1240	49037	464484

	سنة 2010-2009			
	وزارة التربية	القطاع الخاص	المساجد	المجموع
أقل من 4 سنوات	166	603	8083	8852
سنوات 4	8723	8374	20424	37521
سنوات 5	420426	578	28367	449371
المجموع	429315	9555	56874	495744

*المصدر : المديرية الفرعية للإحصائيات – وزارة التربية

ملاحظة: إن البيانات الخاصة بالقطاع الخاص والمساجد قد تكون أعلى وذلك بسبب محدودية جمع البيانات بالنسبة إلى القطاعات خارج وزارة التربية

إن قراءة البيانات المعروضة في الجدول (3) تبين لنا ما يلي:

إن الزيادة الكلية فيما يخص عدد المسجلين بأقسام التربية التحضيرية في مختلف القطاعات بين السنتين الدراسيتين 2008/09 سنة القفزة الكمية الهائلة وسنة 2009/10 تقدر بـ 6.5 % فقط. إن التمعن في سن الفئات الثلاث المستفيدة من أقسام التربية التحضيرية تخبرنا بأن التوسع الذي حصل في سنة 2009/10 في عدد المسجلين بالنسبة للقطاع الخاص كان بالأساس يخص الأطفال ذوي سن 4 والأقل من 4 سنوات، أما ذوي السن الخامسة فقد عرفت انخفاضا في سنة 2009/10 مقارنة بالسنة السالفة. إن السبب في ذلك يعود إلى توفر العرض في هذا المجال من طرف المدارس العمومية (وزارة التربية). وفي المقابل نجد عدد التسجيلات بالأقسام التابعة لوزارة التربية ارتفعت

بالنسبة إلى فئة الأطفال ذوي سن الرابعة والخامسة وانخفضت بالنسبة للفئة الأصغر أي ذوي سن الأقل من 4 سنوات. إن هذا الاتجاه يتماشى مع الهدف المحدد في القانون التوجيهي للتربية 04/08 والمتصل بتحديد سن الأطفال المستفيدين من التربية التحضيرية بخمس سنوات. وعلى العموم يبقى القطاع الأساسي هو قطاع التربية الوطنية ثم فضاء المساجد (وزارة الشؤون الدينية). حيث يعرف هذا الفضاء نشاطا كبيرا ويتطور مع الزمن فيما يخص التربية التحضيرية، إلا أن أقسام هذه المؤسسات في حاجة إلى إشراف من طرف وزارة التربية من حيث البرامج المقدمة ومن حيث تحسين مستوى تكوين المربين المشرفين على هذه الأقسام.

2.2.3 - التربية التحضيرية الموجهة إلى أطفال ذوي السن أقل من خمس سنوات.

سنتعرض هنا إلى واقع التربية التحضيرية أو ما قبل المدرسية فيما يخص الأطفال ذوي السن أقل من الخمس سنوات وذلك لأن أطفال السن الخامسة في التشريع الجزائري مثل ما شرحنا سابقا معنيين بما يسمى أقسام التربية التحضيرية التي تم التعرض لها في النقطة السابقة.

تستفيد هذه الفئة من الأطفال (من 0 إلى أقل من 5 سنوات) من عدة هياكل شرحها القرار التنفيذي رقم 382/92 (انظر المرحلة الثانية من مسار تطور التربية التحضيرية)، وهي نوعين:

- **النوع الأول**: من التكفل خاص بالرعاية المحدودة العدد أو الاستقبال في البيوت. إن هذا النوع من التكفل يعرف انتشارا كبيرا في كل الأحياء خاصة في المدن وهذا نتيجة لارتفاع عدد النساء العاملات في المناطق الحضرية وشبه الحضرية[16]، وقلة المراكز المختصة التي تتكفل باستقبال هذه الفئة من الأطفال الصغار. إلا أنه يبقى النوع الأكثر غموضا مقارنة بالأنواع الأخرى فما يخص التنظيم وقواعد العمل والرعاية المفروض توفيرها للأطفال المستفيدين منه، وذلك لقلة المعلومات حوله وصعوبة الحصول عليها وعدم الالتزام بما ينص عليه القرار رقم 382/92 المتعلق بشروط إنشاء وفتح وتسيير مراكز الاستقبال والرعاية الخاصة بالأطفال.

إن الكثير من الأمهات العاملات تلجأ إلى هذا النوع من التكفل لرعاية أطفالهن بسبب القرب من السكن وسهولة الحصول على هذه الخدمة بأسعار مقبولة.

16 - Enquête nationale à indicateurs multiples (MICS 3) (2008). Ministère de la santé, de la population et de la réforme hospitalière. Algérie

وهذا رغم أن الأولياء يتركون أطفالهم عند ربات بيوت ليس لديهن أية تكوين مختص في الإشراف على تربية ورعاية الأطفال في مثل هذا السن المبكرة من جهة ومن جهة أخرى فإن بيوت الاستقبال في الكثير من الأحيان غير مناسبة لتأدية مثل هذه المهام ؛ مما قد يؤدي إلى نتائج سلبية على مسار النمو وتطوره لدى الطفل المسجل في مثل هذا النوع من الرعاية. وفي هذا الإطار تشير نتائج الدراسة المسحية حول العديد من المؤشرات[17]، والتي طبقت على عينة تتكون من حوالي 30000 أسرة على المستوى الوطني، إلى حجم الممارسات غير المناسبة بل الخطيرة المرافقة لمثل هذا النوع من التكفل مثلا: 6,7% من الأطفال تركوا في رعاية أطفال آخرين ذوي السن أقل من 10 سنوات و3,7% من الأطفال تركوا في البيت لوحدهم وهذا خلال الأسبوع الذي سبق إجراء المقابلة مع الأم. والجدير بالذكر هو أن أطفال الأمهات ذوي المستوى الجامعي معرضين بصورة قليلة لمثل هذا النوع من التكفل مقارنة مع الأمهات غير المتعلمات.

- **النوع الثاني**: من التكفل خاص بالرعاية الموسعة والمنظمة في مراكز الاستقبال والرعاية. إن هذا النوع من التربية التحضيرية أو قبل المدرسية يشمل العديد من المؤسسات التي تندرج تحت غطائه منها مراكز الحضانة، رياض الأطفال، مؤسسات التربية قبل المدرسية التابعة لمختلف القطاعات الاقتصادية والوزارات والمساجد والقطاع الخاص. إن هذا النوع من التربية قبل المدرسي يشمل بالدرجة الأولى أطفال السن الثالثة والرابعة من العمر. وتشير نتائج الدراسة السابقة الذكر، (MICS 3) إلى أن 11 % من الأطفال ذوي سن 3 و4 سنوات استفادوا من التسجيل في إحدى مؤسسات التربية قبل المدرسية في السنة الدراسية 2005/06. وتجدر الإشارة إلى أن هذه النسبة تنخفض إلى مستوى 5,6 % في المقاطعات الريفية وترتفع إلى مستوى 15,4 % في المناطق الحضرية. كما أنه توجد فروق واضحة حسب المستوى التعليمي للأمهات، فالتسجيل في مؤسسات التربية قبل المدرسية لأطفال 3 و4 سنوات يرتفع مع ارتفاع المستوى التعليمي للأمهات، حيث نجد النسبة منخفضة جدا عند أطفال الأمهات الأميات (4 %) ومرتفعة نوعا ما عند الأمهات الجامعيات (35 %).

يبدو واضحا مما سبق أن تجربة الجزائر فيما يخص التربية التحضيرية، مازالت لم ترق بعد إلى المستوى المطلوب. حيث يمكن أن نسجل الملاحظات الموالية:

17- Enquête nationale à indicateurs multiples (MICS 3) (2008).÷ op.cit.

أولا- فيما يخص التربية قبل المدرسية لذوي السن أقل من خمس سنوات: إن مستوى الالتحاق بهذا النوع من التربية من طرف هؤلاء الأطفال ما زال يعتبر ضعيفا (حوالي 1/8 من مجموع الأطفال المعنيين). إن هذا النوع من التربية يشرف عليه العديد من الوصايات (المؤسسات الاقتصادية الكبرى، الوزارات، القطاع الخاص، المساجد...) بدون وجود أية استراتيجية وأهداف موحدة أو تنسيق مشترك، مما جعل تطور هذه التربية يخضع للعديد من الحسابات الضيقة والمتصلة بالأساس بمدى توفر الإمكانيات أو ربح معين (مادي بالنسبة للقطاع الخاص ومهني بالنسبة للقطاعات العمومية)، وبالتالي بقي هذا النوع من التربية التحضيرية يتراوح في نفس المكان ولم يتوسع كثيرا، وهذا رغم فتح المجال لمختلف الفاعلين. إن أهم توسع يمكن ملاحظته يخص الأقسام التابعة للمساجد؛ حيث أن عدد الملتحقين بهذه الأقسام يزداد من سنة لأخرى بصورة واضحة؛ مما يستدعي العناية والدعم خاصة فيما يتصل بتحسين مستوى تكوين المربين وتوفير البرامج التربوية المعدة من طرف وزارة التربية.

ثانيا- فيما يخص التربية التحضيرية الموجهة لأطفال ذوي سن الخامسة: رغم أن عدد المسجلين في سنة 2008/09 عرف تطورا معتبرا يفوق 6 أضعاف عدد السجلين في سنة 2004/05 (الشكل 2) ؛ إلا أن هذا النوع من التربية التحضيرية يبقى غير إلزامي، وبالتالي من المفيد تبني سياسة تربوية تعلن صراحة على أن من أهدافها القريبة هو الوصول إلى تحقيق نسبة التحاق تشمل 100% من أطفال هذا السن. كما أن هذا التوسع الذي حصل كان ظرفيا (تغيير هيكلة التعليم الأساسي) ولم يكن مرفوقا بشروط النوعية، مما يستدعي اتخاذ الإجراءات المناسبة لتحسين ظروف الاستقبال والرعاية لهؤلاء الأطفال من أجل ضمان الوصول إلى تحقيق النتائج المنتظرة من هذه التربية. تشير العديد من الدراسات[18] إلى وجود مجموعة من النقائص تحد من تحقيق الإيجابيات المنتظرة، نذكر منها ما يلي:

- النقص في التكوين الأساسي والمختص للمربين/ المعلمين المشرفين على هذه الأقسام. حيث تخبرنا البيانات المتوفرة أن أغلبية المربين في أقسام التربية التحضيرية ليس لديهم أية تكوين مختص، مع العلم أن (74,59 %) تم تحويلهم من التعليم الابتدائي بدون أي إعداد مسبق. كما أن مستوياتهم التعليمية تبقى محدودة، حيث يوجد 8,68 % فقط لديهم المستوى الجامعي.

18- Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle (2005).÷.op.cit.
- Boussena et al (2009). op.cit.
- Bouchina said (2008). op.cit.

- الحجم الكبير للمجموعات البيداغوجية (23 طفل في المتوسط) مع العلم أنها تختلف من ولاية إلى أخرى، ونفس الشيء نلاحظه فيما يخص التناسب الأطفال/ المربي الواحد، إذ أن هذا التناسب يتراوح حسب الولايات فيما بين37 و17طفل للمربي الواحد. والجدير بالذكر هو أن البيانات بالنسبة إلى البلدان العربية تسير في نفس الاتجاه، إذ يشير التقرير الجهوي لليونسكو حول البلدان العربية (2007) إلى أن برامج التربية التحضيرية في هذه البلدان تعاني من ضعف النوعية. وكمثال تم تقديم البيانات المتصلة بالتناسب التلاميذ/المعلم، حيت أنها لا تقل عن 20تلميذ لكل معلم أو أكثر (في بعض البلدان تصل النسبة إلى أكثر من 30 تلميذ للمعلم الواحد). إن مثل هذه الوضعية لا تسمح بتبني رعاية وتربية متفردة ولا بتقديم الاهتمام المطلوب في هذه المرحلة المبكرة، لجميع الأطفال. مما يعني أن نوعية التربية المقدمة ستكون في أغلب الأحيان ضعيفة.
- عدم مناسبة الفضاءات المخصصة لهذه الأقسام، إذ أن مساحات المدارس الابتدائية ليست بالضرورة مناسبة لمتطلبات نشاطات التربية التحضيرية وتتطلب بعض التكيفات، كما أن العديد من أقسام هذه التربية ما زال يعاني من نقائص فيما يخص التجهيزات التربوية المناسبة، حيث تستعمل بها نفس التجهيزات التي كانت تستعمل مع تلاميذ السنة الأولى ابتدائي وهي بطبيعة الحال غير متكيفة مع خصائص أطفال سن الخامسة ومعرقلة لنشاطات هذه المرحلة.
- عدم مناسبة البرامج في بعض الجوانب مما يستدعي تقييمها وإدخال العديد من التحسينات مراعين في ذلك خصائص ومتطلبات النمو في مختلف الجوانب، في هذه المرحلة.

ثالثا- فيما يخص استقبال ورعاية الأطفال في البيوت: من أجل تجاوز الغموض الدائر حول هذه الخدمة التربوية-الاجتماعية وحتى يمكن أن تصبح طرفا هاما ومفيدا في معادلة التكفل والرعاية بأطفال المرحلة المبكرة، يمكن إلزام الأسر المعنية بالأمر بالتصريح المسبق لممارسة هذا النشاط، وهذا حتى يمكن جمع المعلومات الأساسية وتحديد الحاجيات وطبيعة المساعدة المختصة التي يمكن تقديمها لهذه الأسر وتحديد طبيعة المتابعة والإشراف، وذلك من اجل ضمان سلامة الاستقبال والرعاية لفئة الأطفال المسجلة في هذا النوع من التكفل.

4 - التحديات

بناء على عرض وتحليل واقع التربية التحضيرية في الجزائر والبلدان

العربية، يمكننا أن نبرز فيما يلي أهم التحديات التي تواجه ليس فقط السياسيين وأصحاب القرار في هذه البلدان، وإنما كل الفاعلين في هذه المجتمعات، وذلك لأن مستوى التقدم المستقبلي في هذه البلدان مرهون بمستوى توسيع هذه التربية. إن تعميم التربية التحضيرية ذات النوعية يعتبر من المفاتيح الأساسية التي يُمكن من خلالها خلق الشروط المناسبة للأجيال القادمة لتحقيق التنمية الشاملة والدائمة في هذه البلدان. وفي ما يلي نقدم أهم التحديات التي تواجه البلدان العربية في هذا المجال:

1 - هيكلة وتنظيم التربية التحضيرية الخاصة بفئة 0إلى3 سنوات وعدم ترك هذه المهمة للوالدين والقطاع الخاص فقط، وذلك لأهمية طبيعة النمو في هذه الفترة من جهة ومن جهة أخرى عدم تسلح أغلبية الوالدين بالأدوات المعرفية اللازمة لتوفير الإثارة المناسبة في المحيط العائلي لأطفال هذه المرحلة، والتي تمكنهم من تحقيق أبعد حد ممكن من النمو في مختلف الجوانب.

2 – اعتماد سياسة وطنية ترمي إلى تحقيق التعميم التدريجي لكل من التربية قبل المدرسية الخاصة بأطفال سن الثالثة والرابعة والتربية التحضيرية الموجهة لأطفال سن الخامسة، وهذا في إطار مخطط زمني واضح. وبالموازاة مع عملية التعميم هذه من المهم إعطاء العناية اللازمة إلى مجموعة من العوامل لضمان النوعية، منها: –توفير التكوين المختص للمربين فيما يخص عدة ميادين مثل الطرق البيداغوجيا والتنشيط في التربية التحضيرية، علم نفس الطفل...وتجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن الحديث على تقديم تربية تحضيرية ذات نوعية بدون وجود مربين ذوي كفاءة عالية، وهذا من ناحية المعارف الأكاديمية، والتربوية واليداكتيكية والتنشيطية.

3 – توفير الأثاث والتجهيزات التربوية المناسبة لخصائص النمو في هذه المرحلة حيث يشترط في الأثاث أن يؤمن راحة الأطفال الجسمية والنفسية، وأن تمكنهم التجهيزات من إشباع ميولهم وهواياتهم في اللعب والاكتشاف وأن تكون خفيفة الوزن وسهلة التحرك ويمكن تشكيلها بسهولة بصورة فردية أو جماعية .وبالإضافة إلى هذه المواصفات فيما يخص الأثاث والتجهيزات من الفروض أن يكون الفضاء الذي يستقبل فيه الأطفال واسعا ومجهزا بمختلف أنواع اللعب خاصة التزحلق والتسلق والقفز والتوازن. وقاعة متعددة الوظائف تستغل في نشاطات المسرح والموسيقى.

4 – يتطلب ميدان التربية التحضيرية إمكانيات ضخمة، وهذا حتى يمكن إيصالها لمختلف الأطفال ذوي المرحلة المبكرة؛ وبالتالي من المناسب تبني سياسة تربوية متفتحة على مختلف القطاعات العمومية والقطاع الخاص، أي كل

الأطراف التي يمكنها أن تساهم في تحقيق مشروع التعميم مع ضمان النوعية. وتجدر الإشارة إلى أنه من المهم مراعاة الجانب المادي من طرف جميع المتدخلين، بحيث تكون التربية التحضيرية في متناول جميع الأسر المتوسطة، وأن تقدم مساعدات مادية مناسبة للأسر الفقيرة، حتى يتمكن أولادها من الالتحاق بهذا النوع من التربية.

المراجع

1. إسماعيل محمد عماد الدين (1986). الأطفال مرآة المجتمع. عالم المعرفة، الكويت
2. بوسنه محمود (2011). من تحديات التعليم الإلزامي في الجزائر: إشكالية التسرب المدرسي، مداخلة ألقيت في الملتقى الدولي حول «النسق التربوي والفشل المدرسي» أيام 4-3 ماي، جامعة تيزيوزو، الجزائر.
3. بياجيه جان، ترجمة محمد غنيم (1985). سيكولوجية الذكاء. دار الفكر العربي، القاهرة.
4. ريشل مرك، ترحمة بكداش كمال (1984). اكتساب اللغة. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية.
5. شرابي هشام (1984). مقدمات لدراسة المجتمع العربي. الدار المتحدة للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة.
6. لوبلينسكايا، أ، ترجمة بدر الدين عمود وعلي منصور (2000). علم نفس الطفل. وزارة الثقافة، دمشق.
7. سعد مرسي أحمد وكوثر حسين كوجك (1998). تربية الطفل قبل المدرسة. عالم الكتب، القاهرة.
8. فيجوتسكي لأ، س، ترجمة طلعت منضور (1976). التفكير واللغة. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
9. Bamhamed Mohamed (2011). Le préscolaire: bilan et perspectives. Available at URL: http://www.rdh50.ma/fr/pdf/contrubutions/GTA-4-2indd.pdf, (date de consultation 22/12/2011).
10. Bennett, J et Neuman, M.J. (2004). Petite enfance, grands défis: examen des politiques d'éducation et d'accueil des jeunes enfants dans les pays de l'OCDE. Perspectives, 132, Bureau International d'éducation, Vol. XXXIV (4).

11. Bingley, Paul, and Westergaard-Nielsen, Niels (in press). "Intergenerational transmission and day care in Denmark."In Ermisch, John, Jantti, Markus, and Smeeding Timothy (eds). Cross-national research on the intergenerational transmission of disadvantage. New York: Russell Sage Fondation

12. Boussena M, Lakhdar B, Zahi C, Kerroucha G, (2009).Analyse de la situation de l'éducation en Algérie. Rapport final, UNICEF-Algérie.

13. Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle (CRASC). (2005). Le préscolaire en Algérie: Etat des lieux et perspective. Ed. CRASC, Oran.

14. De Cicca, Philip and Smith, Justin D. (2011). "The long-run impacts of early childhood education: evidence from a failed policy experiment." NBER Working Paper No. 17085, available at: http://www.nber.org/papers/w17085.

15. Dodson, Fitzhugh (2006). Tout se joue avant 6 ans, Marabout Université.

16. Dumas, Christelle, and Lefranc, Arnaud (in press). "Early schooling and later outcomes: Evidence from pre-school extension in France." In Ermisch, John, Jantti, Markus, and Smeeding Timothy (eds). Cross-national research on the intergenerational transmission of disadvantage. New York: Russell Sage Foundation. 20- Harvnes

17. Heckman, J. and Masterov, D.V. October 2004. The productivity argument for Investing in young Children. Working Paper 5, Invest in Kids Working Group, and Committee for economic development.

18. Khaled El Andaloussi (2011). Petit enfance et éducation préscolaire au Maroc. Available at

    www.ecoliers-berberes.info/petiteenfance

19. Magnuson, Katherine, Ruhm, Christopher, and Waldfogel, Jane (2007a). "Does prekindergarten improve school preparation and performance?" Economics of Education Review 26(1): 33–51.

20. Magnuson, Katherine, Ruhm, Christopher, and Waldfogel, Jane (2007b). "The persistence of preschool effects: Do subsequent classroom experiences matter?" Early Childhood Research Quarterly 22(1): 18–38
21. McCain, Margaret and J. Fraser Mustard (1999). Reversing the real brain drain: Early years study. rapport final, Ontario, Canada.
22. Piaget, J. (1976). La formation du symbole chez l'enfant. Delachaux et Neistle, Paris 6ème édition.
23. UNESCO (2007). EFA Global monitoring report : overview of the Arab states.
24. UNESCO (2008). L'éducation pour tous en 2015: un objectif accessible?
25. UNESCO (2009). EFA Global monitoring report: overcoming inequality: why governance matters
26. UNECEF (2001). La situation des enfants dans le monde UNICEF, Palais des Nations, Suisse.